

أضواء البيان

@ 303 : فى هَآذَا الْقُرْءَانِ { أي أكثر الأشياء التي يتأتى منها الجدل جدلاً كما تقدم . وصيغة التفصيل إذا أضيفت إلى نكرة كما في هذه الآية ، أو جردت من الإضافة والتعريف بالألف واللام لزم إفرادها وتذكيرها كما عقده في الخلاصة بقوله : % (وإن لمنكور يصف أو جرداً % ألزم تذكيراً وأن يوحداً) % .

وقال ابن جرير رحمه الله في تفسير هذه الآية الكريمة مبيناً بعض الآيات المبينة للمراد بجدل الإنسان في الآية الكريمة ، بعد أن ساق سنده إلى ابن زيد في قوله { وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا } قال : الجدل الخصومة خصومة القوم لأنبيائهم وردهم عليهم ما جاؤوا به . وقرأ { مَا هَآذَا إِلَـهٌ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ } ، وقرأ : { يُرِيدُ أَنْ يَتَفَحَّصَ لَكُمْ } ، وقرأ (حتى توفي) الآية ، { وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى كِتَابٍ فِي قُرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَاقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَآذَا إِلَّا لَـهٗ سِحْرٌ مُّبِينٌ } ، وقرأ : { وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلَّوْا فِيهِ يَعْرُجُونَ لَاقَالُوا إِنَّ زَـمَّامَا سُكَّارَاتٍ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ } انتهى من تفسير الطبري . ولا شك أن هذه الآيات التي ذكر عن ابن زيد أنها مفسرة لجدل الإنسان المذكور في الآية أنها كذلك ، كما قدمنا أن ذلك هو ظاهر السياق وسبب النزول ، والآيات الدالة على مثل ذلك كثيرة في القرآن العظيم . والعلم عند الله تعالى . قوله تعالى : { وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ أَلَا وَالَّذِينَ آوَوْا بِأُتْيَاهُمْ الْعَذَابُ قُبُلًا } . في هذه الآية الكريمة وجهان من التفسير معروفان عند أهل العلم ، وكلاهما تدل على مقتضاه آيات من كتاب الله تعالى ، وأحد الوجهين أظهر عندي من الآخر .

الأول منهما أن معنى الآية : وما منع الناس من الإيمان والاستغفار إذ جاءتهم الرسل بالبينات الواضحات ، إلا ما سبق في علمنا : من أنهم لا يؤمنون ، بل يستمرون على كفرهم حتى تأتاهم سنة الأولين من الكفار ، وإتيان العذاب إياهم يوم القيامة قبلاً . وعلى هذا القول فالآيات الدالة على هذا المعنى كثيرة جداً ، كقوله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ } ، وقوله : { وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ

وَالَّذِذْ ذُرُّهُ عَنِ الْقَوْمِ لَاسَّ يُؤْخَذُونَ { ، وقوله تعالى : { إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى
هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ { ،
وقوله تعالى : { وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ
شَيْئًا